مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية	المجلد 06/ العـــدد02 (2022)، ص ص 947-961

الاستراتيجية العسكرية والحنكة السياسية للقائد حنبعل برقة في مواجهة روما

(247-183 قبل الميلاد)

Military strategy and statesmanship of the leader Hannibal Barca against Rome (247-183 BC)

سايح مرزوق أحمد*

المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة – الجزائر

a.sayah.2021@gmail.com

تاريخ الاستلام: 02/../11../2021 تاريخ القبول: .10./06../2022

الملخص:

برز في القارة الإفريقية على مر العصور شخصيات وقادة، أثروا في مجريات الأحداث القارية والعالمية، وساهموا في صناعة الأمجاد والانتصارات في شتى الميادين، ومن هؤلاء نذكر القائد القرطاجي 'حنبعل برقة' من الفترة القديمة.

يعتبر حنبعل من أهم الشخصيات التاريخية خلال الفترة القديمة، والذي أثر على مجريات الأحداث من نهاية القرن الثالث إلى بدايات القرن الثاني قبل الميلاد. حيث اعتلى القيادة العسكرية للجيوش القرطاجية في اسبانيا خلفا لصهره هسدروبعل عام 221 ق.م، ليبدأ تخطيطه في محاولة لإعادة بناء أمجاد قرطاجة، لذا قرر مهاجمة روما في عقر دارها واسترجاع ما خسرته قرطاجة سابق، فحقق انتصارات سياسية وعسكرية وبذلك يعتبر من القادة القلائل الذين غيروا التكتيكات العسكرية، والتي لا زالت مطبقة لدى الجيوش العالمية إلى يومنا هذا.

لذا سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على هذه الشخصية، بداية بالتعريف بحنبعل، ثم التعريج بأهم انجازاته في مجال الإستراتيجية العسكرية والحنكة السياسية، منذ اعتلائه القيادة عام 221 ق.م إلى غاية وفاته عام 183 ق.م.

الكلمات المفتاحية: حنبعل، قرطاجة، روما، تيتوس ليفيوس، هدروماتوم، كاناي، اسبانيا.

Abstract :

Through many years ago, many figures and leaders were appeared in the African continent, they had a great impact on both continental and universal events, they took a part in glories and victories in various fields. One of those figures, we mention the Carthaginian leader Hannibal Barca.

Hannibal is widely considered to be one of the greatest history figures during the old era who effected on the events from the end of the third century to the bigining of the second century BC. He became on the top of the military commanders of the Carthaginian armies in Spain after his brother in low Hasdrubal in 221 BC, h estrade his plan to re-build Carthage glories, so he decided to attack Rome inside its land to bring back what Carthage loose before, he realised military and historical victories as a result he considered to be among the few leader Who changed the military tactics. Which are practiced till nowdays.

So we'll try in this paper to highlight this figure starting by intoducing Hannibal then his achievements in both military and political domains since the bigining of his leadership in 221 BC till his death in 183 BC.

Keys Words : Hanniba, Carthage, Rome, Titus-Livius, Hadrumatum, Canay.

*المؤلف المرسل

عرفت الفترة القديمة بروز شخصيات وأعلام صنعت ملاحم وكتبت أسماءها بأحرف من ذهب وفي شتى المجالات، فالدولة القرطاجية التي نشأت عام 814 ق.م واستمرت إلى عام 146 ق.م برز فيها قادة عسكريين صنعوا أمجادها كهاميلكار قاهر الرومان ومنهم نذكر كذلك ابنه حنبعل وهي الشخصية التي اخترتها لتكون موضوع دراستي، نظرا لمسيرته الحافلة بالانجازات سواء في المجال العسكري أو السياسي وتتبعت ولو بشكل موجز خطواته من الولادة إلى الوفاة، فحنبعل الذي ولد في قرطاجة عام 247 ق.م وببلوغه سن التاسعة تنطلق مسيرته رفقة والده في اسبانيا وهناك تعلم مبادئ القيادة، التي استلمها في شبابه. وشكل محل خوف وقلق لدى الرومان الذي أرعبهم لمدة طويلة لكن مسيرته تنتهي بطريقة مأساوية عام 183 ق.م حيث تجمع المصادر والمراجع على أن هزيمته لم تكن على أيدي الرومان أنما على يد أبناء جلدته عن طريق الخيانة، وهي فصول سيرة طويلة نوجزها في هاذ العمل المتواضع.

1- نشأة حنبعل:

تحكمت في قرطاجة منذ تأسيسها إلى سقوطها عائلات عدة، لعبت دورا حاسما في الحياة السياسية، العسكرية والاقتصادية ولعل أهمها عائلة آل برقة، والتي أنجبت قادة كان لهم تأثير في مجريات مختلف أحداث الدولة داخليا وخارجيا، نذكر منهم حنبعل.

تنتمي عائلة آل برقة إلى الطبقة الأرستقراطية واستمدت سلطتها من الشعب، فتبوءوا مرتبة الملوك والأمراء واستولوا على السلطة خلال النصف الثاني من القرن الثالث ق.م، فحكموا بنوع من الديمقراطية واكتسبوا غناهم من امتلاكهم لأراضي زراعية واسعة[1]. وخلال هذه الفترة كانت الدولة القرطاجية منقسمة إلى حزبين متصارعين على السلطة، الأول يناصر البرقيين وهم الأغلبية يفضلون الحرب، بينما الثاني وهم الأقلية يناصرون آل حنون ويفضلون السلم[2].

واكتسبت هذه العائلة شهرة وصيتا واسعا بفضل بروز عدة قادة صنعوا أمجادها، منهم هاميلكار برقة والد حنبعل قاهر ثورة الجند المأجور بعد نهاية الحرب الرومانية-القرطاجية الأولى[3]، ثم مثل رمزا لشباب قرطاجة فاستغل شهرته لإعادة بناء قوة الدولة وإعادة بعثها وكان ذلك من اسبانيا، التي حقق بها توسعات هامة عوض من خلالها ما فقدته قرطاجة في الحوض الغربي للمتوسط[4]، وهناك يبرز نجم القائد حنبعل.

رزق هاميلكار برقة بثلاثة أبناء هم حنون *(Hanone)*، هسدروبعل وحنبعل *(Hannibal)* القائد العسكري[5]، ولد هذا الأخير عام 247 ق.م بقرطاجة ويعني اسمه معبود الإله بعل[6]، ونشأ في كنف والده نشأة عسكرية، و لما بلغ سن التاسعة اصطحبه والده معه إلى اسبانيا، قبل أن يزرع فيه كره روما من خلال تقديمه القرابين للآلهة رفقة والده حسب اعتقادهم، حيث وضع حنبعل يديه في دم الأضاحي وأقسم لوالده بأن يظل عدوا لروما طوال حياته[7].

---

[1] Lancel (S), Hannibal, éd. Cérès, Paris 1995, p 20.

[2] مونتيسكيو، تأملات في تاريخ الرومان (أسباب النهوض والانحطاط)، ترجمة عبد الله العروي، منشورات المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب 2001، ص 43.

[3] Gsell (S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Tome III, Paris 1921, pp 96-97.

[4] محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، ص.ص 150-151.

[5] Lancel (S), op. cit, p 24.

[6] جورجي زيدان، أشهر الأعلام والرجال (حنبعل القائد القرطاجي)، مجلة الهلال، العدد 2، مؤسسة دار الهلال، القاهرة 1982، ص 41.

[7] Polybe, Histoire, III, 1, 11, trad. Par Danielle DE Celerq, éd. Garnier, Paris 2001.

حسب تيتيوس ليفيوس فإن حنبعل يشبه إلى حد كبير والده هاميلكار، لا سيما في صفات وجهه ونظراته الحادة فضلا على الشجامعة والمخاطرة، لم يؤثر التعب على جسده ولا على نفسيته قاوم البرودة والحرارة، وكان يتناول مما تجود به الطبيعة[8]، ولم يوصف وصفا دقيقا إلا بعد اكتشاف النقود التي تحمل صورته الخاصة، والتي تم سكها في اسبانيا ما بين 221-219 ق.م[9]، كما وصف أنه ذو رأس دائري ونظره حاد والعظم أعلى العين بارز وأنفه طويل، له فم صغير وشاربين يتميزان بالخشونة أما فكه السلفي فهو بارز[10].

تتلمذ على يد مدرسين أكفاء ونهل منهم فني التعبير والخطابة، فضلا على اتقان فنون الحرب وخاصة حصار المدن والمناورة، وما ساعده في ذلك إتقانه للغتين البونيقية والإغريقية[11]، هذه الأخيرة التي تعلمها عن صديقه سوسيلوس *(Sossylos)* و والده هاميلكار[12]. أما لباسه فكان يشبه لباس كل جنوده إلى درجة أنه لا يمكن التمييز بينه وبينهم إلا عن طريق الخيل الذي يركبه والسلاح الذي يحمله، وحنكته العسكرية هي التي صنعت منه القائد الأعلى للجيش بعد وفاة صهره هسدروبعل[13].

أما عن حياته الشخصية فقد تزوج حنبعل من فتاة اسبانية لا تنتمي إلى العائلة الملكية القرطاجية، تدعى إميلس *(Imilce)* ذات أصول إغريقية وأنجبت له ولد واحد[14]، وقد تأثر بالحياة الهيلينية وهو ما يبرز جليا في مظهره رغم أنه سامي الحضارة[15]. كما عرف عنه أن كان مولعا بالتماثيل وامتلك منها الكثير كما فعل أثريا وفنانو قرطاجة قبله، وأهم قطعة أثرية امتلكها وأولاها بالاهتمام تمثال صغير من البرونز نحته الفنان اليوناني لوسبوس *(Lospos)*، والذي فيه الإله ملقرت حسب اعتقادهم[16].

2- الإستراتيجية العسكرية لحنبعل:

بداية حنبعل العسكرية كانت من اسبانيا بعد مقتل صهره هسدروبعل قائد الجيوش، فعين قائدا خلفا له بموافقة مجلس الشيوخ القرطاجي، وذلك عام 221 ق.م في عمر السادسة والعشرون نظر لحنكته العسكرية وقيادته الجيدة لفرقة الخيالة، والتي تمكن من خلالها من تحقيق انجازات قبل عام 221 ق.م منها انتصاره على قبائل الفاكسيين باسبانيا[17]، ولما تسلم القيادة أبان حسن قيادته لجيشه المتكون أساسا من القرطاجيين المشاة والفرسان النوميديين فضلا على المرتزقة من شعوب مختلفة[18].

---

[8] Tite-Live, Histoire Romaine, XXI, 4, 5, Trad. Par Danielle de Celerq, éd. Garnier , Paris 2001

[9] Gelbert (Ch. P.),la vie quotidienne a Carthage au temp d' Hannibal IIIe siecle Av-J-C, Paris 1958, p 104.

[10] Gelbert (Ch. P.), op. cit, p 105.

[11] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 155.

[12] Gelbert (Ch. P.), op. cit, p 113.

[13] Bernaud (J), Annibal, Paris 1962, p 41.

[14] Gelbert (Ch. P.), op. cit, p 119.

[15] Le B ohec (Y), Histoire Militaire des Guerres Puniques 246-146 Av. J-C, éd. Tallendier, Paris 2014, p 154.

[16] أحمد السليماني، المكنون الحضاري الفينيقي-القرطاجي في نوميديا القديمة من خلال الدلالات واللقى الأثرية والأنصاب النذرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر 1999، ص 90.

[17] اصطيفان اكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج3، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات الأكاديمية المغربية، الرباط 2007، ص 118.

[18] هشام الصفدي، تاريخ الرومان، ج1، مطبعة دار الفكر الحديث، لبنان 1967، ص 159.

تمكن من صنع جيش قوي خليط من الأجناس ولم يتم الثورة أو التمرد ضده طول مدة قيادته[19]، كما ابتكر نظام الجوسسة حيث كان يقوم بالتمويه للوصول إلى الهدف، حتى مقربيه لم يكن بإمكانهم التعرف عليه[20]، وكان يصحبه في حروبه المؤرخ سيلينوس *(Silenos)* الإغريقي الذي أرخ لانجازاته العسكرية[21].

كون جيشه من المشاة بأعداد كبيرة وهم من الليبيين والمرتزقة من جنسيات مختلفة (إسبان، غاليين، إيطاليين وإغريق)، وهذا بسبب قلة سكان قرطاجة وابتعادهم عن الحياة العسكرية[22]، وحمل المشاة سلاحا ثقيلا كالسيوف، الرماح أو المقاليع التي يرشق بواسطتها كرات من الفخار المشوي[23]، أما الفرسان فكان دورهم هاما في المعارك التي خاضها حنبعل، ومثلت ربع عدد جيشه وأغلبهم من النوميديين الذي امتطوا خيولهم بدون سرج وتميزوا بالخفة والسرعة[24]، كما أضاف إلى جيشه الفيلة والتي كانت سلاحا ضاربا يقودها سائس، ويتبعها الجنود بغرض تهييجها بوخزها بالحراب وقرع الأجراس للانقضاض على مقدمة جيش الخصم[25].

أول عملية عسكرية قادها حنبعل بعد اعتلائه القيادة هو حصار مدينة ساغنتوم عام 218 ق.م الواقعة ضمن الأراضي القرطاجية جنوب نهر الإيبرو[26]، والتي انقسم سكانها بين مؤيد لحنبعل وقسم مؤيد للتدخل الروماني الذي تم فعلا في نفس السنة[27]، فاستمر الحصار للمدينة مدة ثمانية أشهر وانتهى باحتلالها من طرف حنبعل معتمدا في كسر مقاومة قوات الخصم ودخول المدينة على استخدام المقاليع[28]، وبذلك تنتهي فترة السلم مع روما التي دامت اثنان وعشرون عاما[29] بإعلان هذه الأخيرة الحرب ضد قرطاجة[30].

وعليه فإن حصار ساغنتوم هي القطرة التي أفاضت الكأس بين روما وقرطاجة، وهي الذريعة لإعلان روما الحرب الثانية ضد قرطاجة، والتي كان حنبعل ينتظرها من خلال تحضيراته لذلك لتستمر الحرب من عام 218 إلى 202 ق.م، في ثلاث جبهات هي اسبانيا، إيطاليا وشمال إفريقيا.

---

[19] Bernaud (J), op. cit, p 152.
[20] Gelbert (Ch. P.), op. cit, p 113.
[21] Le Bohec (Y), op. cit, p 152.
[22] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر 1990، ص 200.
[23] مادلين هورس ميادى، تاريخ فرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، ط 1، بيروت 1981، ص 80.
[24] Diodore de Sicile, Bibliothèque Universelle, XX, 8, Trad. Par Haefer (F), Paris 1865.
[25] Pline l'Ancien, Histoire Naturel, I, 1, Trad. Par Litrene, Paris 1865.
[26] إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط1، ص 153.
[27] ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج1، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا 1973، ص 216.
[28] Le Bohec (Y), op. cit, p136.
[29] محمد بن مبارك الميلي، الجزائر في ضوء التاريخ، مطبعة البحث، قسنطينة 1980، ص 153.
[30] Tite-Live, Histoire Romaine, XXI, 18, Trad. Par Daniel de Celerq, Paris 2001.

استكمل حنبعل تحضيراته العسكرية بتكوين جيش قدر بخمسين ألفا من المشاة، وتسعة الاف من الفرسان فضلا على سبعة وثلاثون فيلا[31]، فشرع بالتوجه صوب إيطاليا تاركا أخوه هسدروبعل *(Hasdrubal)* على رأس القيادة بإسبانيا[32]، وسلك الطريق البري لبلوغ الهدف فمر عبر جبال البيرينيه ثم جبال الألب، ووصل إلى سهل البو *(Po)*[33].

وخلال هذا العبور الطويل اعترضنه جملة من المخاطر، بداية بمواجهة الشعوب المتاخمة لجبال البرانس[34]، وتمكن من تحاشي مواجهة قوات روما التي اعترضته بقيادة بوبليوس كورنيليوس سكيبيون *(P. Cornelius Scipion)* وذلك بمناورة ذكية[35]، ويشير تيتوس ليفيوس أن حنبعل اجتاز جبال الألب بصعوبة كبيرة واعترضته عقبات طبيعية وبشرية مما أدى إلى فقدانه نصف تعداد جيشه[36]، وهو ما أكده بوليبيوس الذي عدد الخسائر في الجنود والخيول والفيلة التي أرجعها وعورة الطريق[37].

المرجع: https://ar.wikipedia.org/wiki/:Hannibal_route_of_invasion-ar.png

لما بلغ حنبعل الأراضي الإيطالية وبالرغم من فقدانه نصف قواته، إلا أنه تمكن من تحقيق انتصارات ساحقة على القوات الرومانية الهائلة، وبشكل خاص خلال الفترة الممتدة بين عامي 218 و216 ق.م.

أول انتصاراته كانت كانت في منطقة تسينو *(Tessin)* بالقرب من لوميلو *(Lomello)* الحالية شمال إيطاليا، فهزم قوات روما بقيادة سكيبيون وكان ذلك بفضل براعة الفرسان النوميديين، وبذلك كسب حنبعل حلفاء جدد بالمنطقة منهم الغاليون[38]، وتلاه مباشرة

---

[31] شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا منذ البدء إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995، ص 84.

[32] Yanoski (J), Esquisse générale de l'Afrique et Afrique ancienne : Carthage-Numidie-Mauritanie, tome 2, éd. Firmin Didot Frère, Paris 1844, p82.

[33] محمد الهادي حارش، حملة حنبعل على إيطاليا، مجلة الدراسات التاريخية، العدد6، الجزائر 1992، ص 51.

[34] Polybe, III, 35.

[35] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة أحمد عزو عزالدين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ط1، دمشق 1996، ص 184.

[36] Tite-Live, XXI, 5, 38.

[37] Polybe, III, 2, 56.

[38] أحمد سايح مرزوق، حنبعل وانتصاراته الأربعة في إيطاليا 218-216 ق.م خلال الحرب البونية الثانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد12، السداسي الثاني 2017، ص.ص 89-90.

انتصار ثان في ديسمبر 218 ق.م في معركة تربي *(Trébie)*، والتي وقعت جنوب نهر البو على ضفته اليسرى بين سارتينارو *(Sartenaro)* وكازاليجيو *(Cazalegio)* وتيرا *(Tura)*[39]، واستخدم حنبعل استراتيجية جديدة تمثلت في وضع المشاة الثقيلة على خط مستقيم مع الغاليين، ورتب على الأجنحة كل من الفرسان والفيلة، فضلا عن ذلك ترك عشرة آلاف من المشاة تحت قيادة اخوه ماغون متسترين وراء هضبة في مؤخرة الجيش الروماني[40]، وكانت بداية المعركة لصالح الرومان بقيادة سمبرونيوس *(Sempronius)*، إلا أن الفرسان النوميديون واستخدام الفيلة رجحوا الكفة لصالح حنبعل وقام أخوه ماغون *(Magon)* بمحاصرة الفارين وإبادتهم[41]، ولم ينج من قوات الرومان المقدرة بأربعين ألفا سوى عدد قليل[42].

الشكل رقم 01: الاستراتيجية العسكرية لحنبعل في معركة تربي[43]

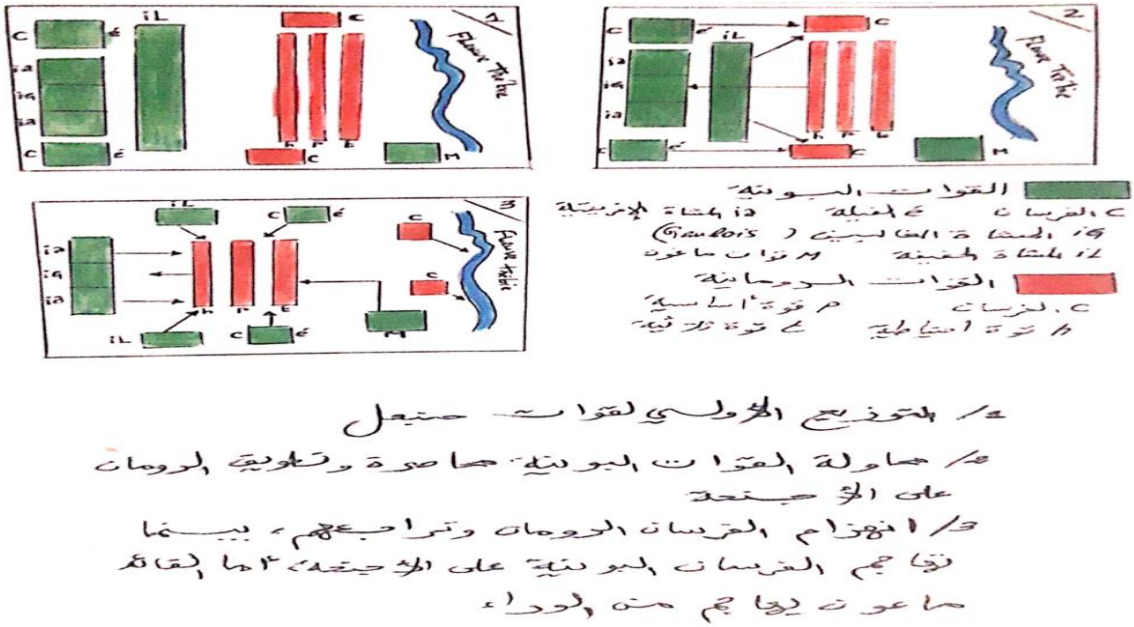

واصل حنبعل في انجازاته العسكرية ففي جوان 217 ق.م نصب كمينا لقوات القنصل كايوس فلامينيوس *(Caius Flaminius)* بالقرب من بحيرة ترازيمان *(Trasiméne)* وهي الآن لاغودي بروجيا[44]، قوة تكتيكات حنبعل برزت أكثر في هذا الكمين بجعل قواته متمركزة في قمم الجبال مقسا إياها غلى أربعة أفواج من الغرب إلى الشرق بدءا بالفرسان يليهم الغاليين ثم القرطاجيين فالإفريقيين وأخيرا الأيبيريين، وأكثر ما ساعده في نجاح هذا الكمين استغلاله للمناخ السائد تلك الأيام وبشكل خاص تشكل الضباب[45]، ولما وصلت القوات الرومانية تفاجأت بالكمين وتكبدوا خسارة فادحة قدرت بخمسة عشر ألفا من بينهم القنصل فلامينيوس الذي أخذ رأسه كغنيمة

---

[39] Le Bohec (Y), op. p 173.

[40] أحمد سايح مرزوق، المرجع السابق، ص 90.

[41] محمد السيد عبد الغني، التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتى عام 133 ق.م، ج1، منشورات المكتب الجامعي الحديث، 2005، ص 367.

[42] Polybe, III, 2, 74.

[43] Le Bohec (Y), Op. Cit, p 174. (بتصرف من الباحث)

[44] فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 161.

[45] Le Bohec (Y), Op. Cit, p 179.

حرب، أما من جانب القرطاجيون فلم تتجاوز الخسائر ألفين وخمسمائة جندي[46]. وبعد هذا الانتصار واصل حنبعل استقبال وفود القبائل المناصرة وتعزيز قواته، كما جهز جنوده بأسلحة رومانية مسترجعة ليتفوق على الرومان عسكريا[47]، وهكذا كون جيشا حديثا وغير من تكتيكاته العسكرية بتقسيمه إلى أفواج صغيرة متبعا النهج الروماني في ذلك[48]، وهو ما مكنه من احتلال كل من سمونيوم، كومبانيي وأبولي التي خيم بها وقضى بها شتاء 217-216 ق.م والربيع الموالي، نظرا لاحتوائها على المئونة والمراعي الشاسعة لتغذية حيواناته[49].

الشكل رقم 2 : استراتيجية حنبعل العسكرية في كمين ترازيمان

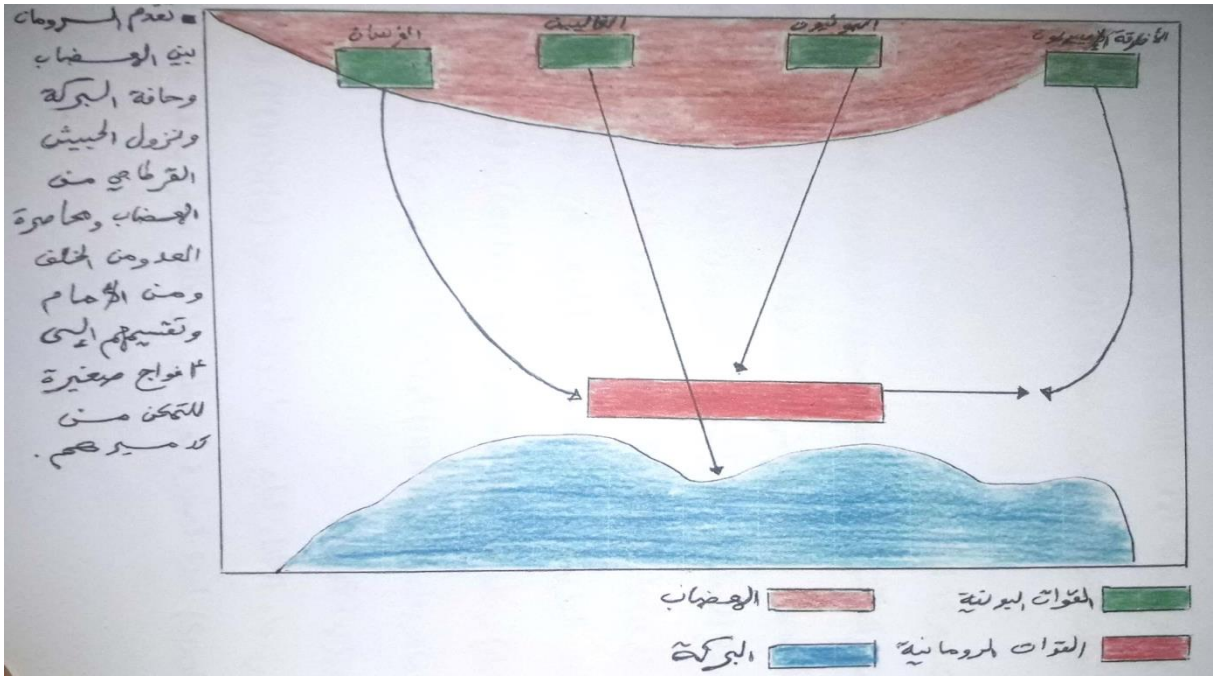

استبدلت روما عام 216 ق.م قنصليها فعينت لوكيوس أيميليوس باولوس *(Lucius Aemilius Paulus)* وكايوس ترنتيوس فارو *(Caius Terentius Varro)*، وتم تجهيز جيش تعداده حوالي ثمانون ألف رجل بهدف القضاء على حنبعل وجيشه[50]، فاتجهت هذه القوات صوب كاناي وهو الموقع الذي شهد معركة فاصلة بين حنبعل والقوات الرومانية[51]، حيث اهتدى حنبعل إلى تنظيم قواته البالغة أربعين ألفا، حيث وضع الفرسان البالغ عددهم عشرة آلاف فارس باتجاه البحر، وجعل في وسط الجيش الخيالة الإيبيرية، وعلى يمينهم القوات الغالية وعلى يسارهم المشاة الثقيلة الإفريقية تحت القيادة المباشرة لحنبعل وأخوه ماغون مساعدا له[52].

---

[46] نجيب إبراهيم طراد، تاريخ الرومان، مكتبة ومطبعة الغد، مصر 1997، ص 138.

[47] Polybe, III, 3, 87.

[48] Le Bohec, op. cit, p 186.

[49] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 54.

[50] أحمد سايح مرزوق، المرجع السابق، ص 95.

[51] Tite-Live, XXII, 43.

[52] أحمد سايح مرزوق، المرجع السابق، ص 96.

اندلعت المعركة بين الطرفين يوم 02 أوت 216 ق.م جنوب نهر الأوفيدو *(Aufide)* أو أوفانتو حاليا على ضفته اليمنى[53]، في سهل مكشوف بدءا بمحاصرة فرسان حنبعل لقلب الجيش الروماني والتي أظهرت براعة كبيرة، أين ساهمت في تحقيق النصر ضد الرومان الذين خسروا خمسة وأربعون ألف رجل من ضمنهم القنصل أيميليوس كما أسر منهم حنبعل عشرون ألفا، بينما لم يخسر سوى خمسة الاف وسبعمائة رجل فقط[54].

الشكل رقم 3 : استراتيجة حنبعل العسكرية في معركة كاناي 216 ق.م[55].

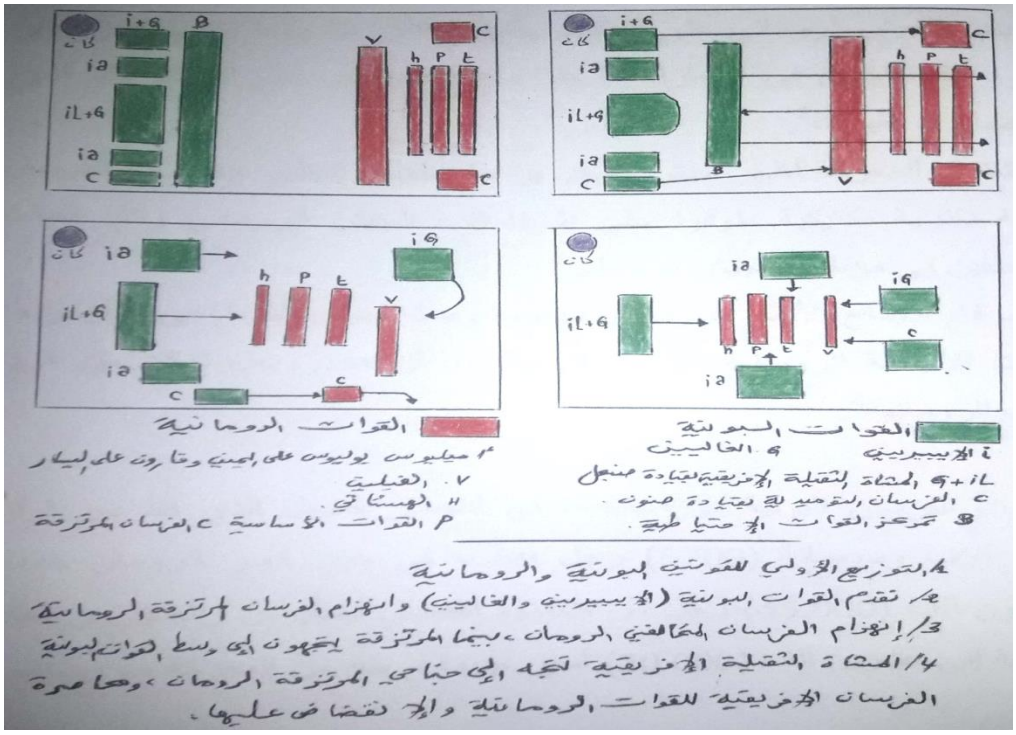

ورغم هذه الانتصارات الكبيرة إلا أن حنبعل بدأ في التراجع بعد معركة كاناي بسبب الخطأ الاستراتيجي الذي وقع فيه، بعدما رفض الفكرة التي طرحها ضباطه القائمة على مباغتة العاصمة روما بهجوم خاطف وتحطيمها[56]، وهو ما سمح لروما أن تربح الوقت وتعيد بناء قوتها وتكبد حنبعل عدة هزائم، وخسر بذلك العديد من المناطق على غرار كابو وتارونتة باعتبارهما أهم مناطقه في التموين[57]، وما عمق في ضعفه انهزام قواته في اسبانيا أمام سكيبيون وخسارتها نهائيا بداية من عام 206 ق.م، وشجع هذا الأخير على نقل الحرب إلى الأراضي الإفريقية تحضيرا للتخلص من حنبعل ليترك إيطاليا والعودة للدفاع عن الوطن الأم وهو ما تم فعلا عام 203 ق.م[58].

حقق سكيبيون انتصارات كبيرة على القوات القرطاجية في شمال إفريقيا وهو ألزم قرطاجة على استدعاء حنبعل، للعودة إلى الوطن الأم والدفاع عنها ورد الحملة الرومانية فلبى الدعوة وأنزل بالقرب من هدروماتوم (سوسة) خلال خريف 203 ق.م[59]، وفي أواخر صيف 202

---

[53] Le Bohec, op. cit, p 190.

[54] Ibid, p 193.

[55] إنجاز الباحث نقلا عن Le Bohec (Y), Op. Cit, p 191.

[56] فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 163.

[57] Decret (F), Carthage au l'Empire de la mer, éd. Seuil, Paris 1977, p 198.

[58] فتيحة فرحاتي،نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م، الجزائر 2007، ص 71.

[59] Le Gly (M), Histoire Romaine, éd. Presse universitaire de France, Paris 2008, p 90.

ق.م تحصن بها وجعل من قصور الصاف قاعدته الخلفية لتلقي المدد العسكري والتموين، وبها عقد تحالف مع فرمينا *(Vermina)* خليفة صفاكس وشرع في التحضير للمعركة الفاصلة[60].

غادر حنبعل هدروماتوم في أواخر صيف 202 ق.م قاصدا زاما التي اقام بها معسكره تحضيرا لمعركة زاما التي اندلعت في يوم 29 أكتوبر 202 ق.م[61]، بهجوم فيلة حنبعل لكنها وقعت في فخ سكيبيون بإثارتها عن طريق الأبواق فانقلبت على جيش حنبعل محدثة فيه خسائر فادحة، الأمر الذي فسح المجال للجيش الروماني بالإغارة على بقية الجيش، ملحقا به هزيمة كبيرة رغم ما أبانه حنبعل من مقاومة مستعرضا فيها مختلف التكتيكات العسكرية[62].

اعتمد حنبعل خطة تكتيكية محكمة حيث جعل الفيلة في المقدمة لاستخدامها في الهجوم، واضعا المرتزقة الكلتيين والموريين في مقدمة الجيش وراء الفيلة مباشرة، بينما البونيقيين والنوميديين في الصف الثاني أما المشاة القرطاجية وقدماء الجيش والإيطاليين في الصف الثالث، بينما خصمه سكيبيون وضع الفرسان في خطوط متوازية تاركا فراغا بينها فراغات لتمر عبرها فيلة حنبعل، وترك المشاة في الخلف[63] وسبب انهزام حنبعل هو استخدام سكيبيون لتكتيكاته العسكرية التي نسخها نظير مواجهته الطويلة ضد حنبعل.

كانت خسائر حنبعل في هذه المعركة ثقيلة حيث فقد ما يزيد عن خمسة وعشرون ألفا رجل وثمانية آلاف أسير، وهي الهزيمة التي مكنت سكيبيون من إملاء شروط السلم والتي قوضت من القوة القرطاجية اقتصاديا وعسكريا، بسبب الأخطاء الاستراتيجية لمجلس الشيوخ الرومانية فكانت بذلك بداية نهاية قرطاجة[64].

تعتبر معركة زاما آخر المعارك الطويلة التي خاضها حنبعل والذي حاول جاهدا تحقيق مشروع والده بتحطيم روما، إلا أن بعض الأخطاء الإستراتيجية التي يتقاسمها مع مجلس شيوخ بلده عجلت بفشله وأنهت مسيرته العسكرية، إلا أنه واصل محاولاته ليعيد بعث اقتصاد وقوة قرطاجة في محاولة اقتحام الحياة السياسية التي بدأها من العضوية في مجلس الشيوخ كما سيرد لاحقا.

3- دور النوميديين في الجبهة الإفريقية للحرب البونيقية الثانية:

حاول طرفي الحرب البونيقية الثانية (قرطاجة وروما) استمالة ملوك نوميديا الشرقية والغربية لمشاركة قواتهما في هذه الحرب، خاصة في المرحلة الأخيرة التي تمت في الأراضي الإفريقية، حيث يشير تيتوس ليفيوس إلى محاولة سكيبيون قائد القوات الرومانية استمالة الملك صيفاكس[65]، رغم أن هذا الأخير كانت نظرته أبعد من التحالف، حيث عمل على إنهاء الصراع بين الطرفين بالطرق السلمية في لقاء سيقا

---

[60] Le Bohec (Y), op. cit, p 249.
[61] Ibid. pp 248-249.
[62] Tite-Live, XXX, 30, 35.
[63] Le Bohec (Y), Op. Cit, pp 251, 252.
[64] أحمد سايح مرزوق، شمال إفريقيا الفصل الأخير للحرب البونية الثانية 204-202 ق.م، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 13، جانفي 2018، ص 82.
[65] Tite-Live, XXVIII, 17, 12-15.

الدولي عام 206 ق.م[66]، ولكن تم إفشاله عمدا من طرف الرومان عن طريق سكيبيون مما يوحي إلى نية هذا الأخير مواصلة الحرب وتحطيم قرطاجة[67].

عقد إذن ماسينيسا تحالفا مع سكيبيون بهدف استعادة عرشه المسلوب[68]، بينما تحالف صفاكس مع قرطاجة، حيث أرسل عام 205 ق.م رسولا إلى سكيبيون يحذره بالرد عسكريا في حال مهاجمته للأراضي الإفريقية[69]. وبفضل هذه التحالفات تمكنت قرطاجة من إعادة بناء جيش كبير قوامه 30.000 رجل بعد ضم قوات صفاكس، بينما ضم ماسينيسا قواته لجيش سكيبيون.

شارك النوميديون في أولى معارك الحرب بالأراضي الإفريقية وهي معركة السهول الكبرى عام 203 ق.م، تمكن من خلالها الرومان من تحقيق الانتصار بدعم من قوات ماسينيسا[70]، فاستعاد هذا الأخير مملكته بينما تم أسر صفاكس بعد هزيمته وهزيمة قرطاجة في جوان 203 ق.م ونفي نحو إيطاليا.

المشاركة الثانية للنوميديين في هذه الحرب كانت في معركة زاما يوم 29 أكتوبر 202 ق.م، فتحالف ماسينيسا مع سكيبيون أين جلب 6.000 فارس، بينما تحالف حنبعل قائد القوات القرطاجية العائد من إيطاليا مع فرمينا خليفة صفاكس الذي جلب عدد كبير من الفرسان[71]، وبعد معركة فاصلة انتهت لصالح الرومان وفرض على قرطاجة معاهدة مخزية عام 201 ق.م.

انتهت تحالفات النوميديين مع أطراف الحرب بسجن الملك صفاكس بسجن تيبور بإيطاليا إلى غاية وفاته خارج الديار[72]، بينما رفع ماسينيسا شعار "إفريقيا للإفريقيين" فوحد نوميديا الشرقية والغربية تحت حكم واحد خلال نصف قرن جاعلا منها القوة الثانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[73].

4- المسيرة السياسية لحنبعل:

بعد نهاية الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية بتوقيع قرطاجة لمعاهدة زاما عام 201 ق.م بقي حنبعل على رأس قيادة الجيش، وهو ما أقلق الرومان الذين عملوا على عزله وهو ما تم فعلا عام 200 ق.م بإيعاز من الطبقة الأرستقراطية بقرطاجة[74]، وبعد هذا العزل سكتت المصادر عن سيرته بين سنوات 200 و 196 ق.م[75]، ما عدا الإشارة إلى أنه انتقل إلى هدروماتوم رفقة مجموعة من جنوده لخدمة الأرض

---

[66] Gsell (S), H.A.A.N, tome III, p 185.

[67] أحمد سايح مرزوق، سياسة التحالفات العسكرية الرومانية-القرطاجية مع ملوك نوميديا، الملتقى الدولي مملكة المازيسيل، عين تيموشنت 22-2018/09/24، المحافظة السامية للأمازيغية، ص 277.

[68] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 71.

[69] Tite-Live, XXIX, 23, 10.

[70] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر 1998، ص 81.

[71] Le Bohec (Y), Op. Cit, p 249.

[72] Tite-Live, XXX, 16, 1.

[73] العربي عقون، ماسينيسا 238-148 ق.م من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، العدد 22، جوان 2010، ص 91.

[74] Gelbert (CH.P), Hanibal, éd. Hachette, Paris 1967, p 214.

[75] Le Bohec (Y), op. cit, p 256.

وبشكل خاص زراعة أشجار الزيتون، ولم يمنعه ذلك من مراقبة التطورات السياسية في قرطاجة تحضيرا لتولي منصب سياسي يسمح له بتغيير الأوضاع[76].

عاد حنبعل بعد فترة زمنية قصيرة إلى قرطاجة أين كان الشعب ينتظرونه لدعم حزبه الذي عرف بحزب الشعب[77]، فانتخبوه عام 196 ق.م كشفط *(Sufete)* وهو ما فسح له المجال لإجراء عدة إصلاحات هادفة لتحسين أوضاع الشعب[78]، والتخلي ولو بعد حين عن التفكير في إقحام قرطاجة في حرب جديدة خاصة وأن الظروف غير سانحة[79].

شرع حنبعل في عقد التحالفات ومحو أثار الحرب بتنظيم الجانب المالي للمحافظة على موارد الدولة في ظل الأزمة الاقتصادية[80]، وأول ما قام به هو تقويض سلطة القضاة الذين كانت لهم صلاحيات واسعة على حساب الشعب، وذلك باقتراح قانون خاص يلغي من خلاله حق القضاة في البقاء في مناصبهم مدى الحياة، وحدد فترة حكمهم لمدة سنة واحدة فقط دون تجديد وتم التصويت بالأغلبية عليه[81].

واصل حنبعل إصلاحاته السياسية والمالية حيث اقترح قانون يخدم الصالح العام يقضي بالتحقيق في تبذير أموال خزينة الدولة[82]، وهذا ليتمكن من دفع الضريبة التي فرضتها روما في معاهدة زاما دون اللجوء إلى استخلاص المزيد من الضرائب المفروضة على الشعب[83].

لم يخف الرومان تخوفهم من حنبعل واستعادة قرطاجة لعافيتها وكانوا يتابعون هذه التطورات عن كثب عن طريق جواسيسهم، وكانت روما ترسل مرارا إنذرات تحذيرية لقرطاجة بداعي تفكير حنبعل لمعاودة الهجوم على روما[84]، خاصة وأن إصلاحات حنبعل كانت تهدف إلى إعادة بعث اقتصاد قرطاجة أولا ثم إعادة بناء القوة العسكرية التي لقيت معارضة من معارضيه داخل مجلس الشيوخ[85].

رغم أن حنبعل حقق نتائج إيجابية من وراء الإصلاحات التي باشرها بعد تقلده منصب الشفط، سواء في الجانب المالي أو السياسي إلا أنها لم تشفع له لدى معارضيه، الذين تحالفوا مع الرومان للحفاظ على مصالحهم الخاصة على حساب الشعب والدولة القرطاجية، وهذا ما سهل على روما التخلص من حنبعل نهائيا بطريقتها الخاصة وذلك بنفيه مرغما من وطنه الأم.

5- نهاية القائد حنبعل:

---

[76] Gelbert (CH.P), op. cit, p 214.
[77] Dureau de la Malle et Yanoski (M), Carthage, éd. F.D.F, Paris 1844, p 103.
[78] Le Bohec (Y), op. cit, p 256.
[79] Gelbert (CH.P), op. cit, p 216.
[80] Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale (berbere) depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française 1830, Tome 1, p 45.
[81] أحمد سايح مرزوق، تداعيات الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من نهاية القرن الثالث إلى القرن الأول ق.م، أطروحة دكتوراه، جامعة خميس مليانة، 2021/2020، ص 47.
[82] Tite-Live, XXXIII, 46.
[83] Dureau de la Malle et Yanoski (M), op. cit, p 98.
[84] Ernest Mercier, op. cit, p 45.
[85] محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 51.

شكل التطور الكبير الذي شهدته قرطاجة خلال فترة حكم حنبعل مصدر قلق لدى الرومان، مما دفعهم إلى التحالف مع خصومه للقبض عليه والتخلص منه، فشكلت روما وفدا في مهمة سرية إلى قرطاجة من ثلاثة سفراء هم غنايوس سرفيليوس *(Gnaeus Servilius)*، ماركوس كلاوديوس مارسيلوس *(Marcus Claudius Marcellus)* وكانتيوس تيرونتيوس كيليو *(Quintius Térentius Culléo)*[86]، وصل الوفد إلى قرطاجة عام 195 ق.م وصرح الأعضاء أن مهتهم تكمن في الحد من الصراع بين ماسينيسا وقرطاجة[87].

تمثل الهدف الحقيقي والسري من هذه السفارة اختطاف حنبعل بمساعدة من خصومه، إلا أن حنبعل تفطن للمكيدة لذا قرر الفرار خارج قرطاجة أين جهز باخرة مموهة لغرض ذلك وهو ما تم فعلا في ليلة تاركا وطنه الأم متحسرا عليه وعلى من خانوه[88]، فلجأ إلى الملك المقدوني أنطيوخوس الثالث *(Antuochos III)* في سوريا[89].

ظل حنبعل مدة زمنية يحفز أنطيوخوس ليعلن الحرب ضد روما وهو ما تم فعلا، إلا أنه مني بالهزيمة أمامها وفرضت عليه معاهدة قاسية تضمنت التخلص من حنبعل، وهو ما شعر به هذا الأخير فغادر المنطقة متجها صوب جزيرة كريت ومنها إلى بيثينا، التي قضى بها بقية حياته إلى أن لاحقه الرومان هناك للقبض عليه لكنه تجرع السم وتوفي عام 183 ق.م[90] لتنتهي بذلك قصته البطولية وينتهي الكابوس الذي ألبسه للرومان مدة طويلة.

خاتمـــــــــــــــة:

وفي ختام هذا العرض البسيط لمسيرة القائد القرطاجي حنبعل خلصت إلى جملة من الاستنتاجات أوجزها في النقاط التالية:

- حنبعل شخصية عسكرية محنكة واستمد ذلك من والده هاميلكار الذي صقل فيه صفات القائد من خلال ملازمته في مختلف حروبه.
- نشأ حنبعل على كره روما واعتبارها العدو اللدود من خلال قسمه التاريخي لوالده في سن التاسعة، الأمر الذي ساهم في استكماله مشروع والده بمهاجمة روما برا عن طريق جبال الألب رغم صوبة المهمة.
- تمكن فعلا حنبعل من بلوغ روما وهزيمة جيوشها في عدة معارك حاسمة، إلا أن بعض أخطائه الاستراتيجية وتقاعس مجلس شيوخ بلده في مده بالدعم أدى إلى فشل المهمة الموكلة إليه.
- واجب الدفاع عن الوطن أرغم حنبعل على ترك إيطاليا عام 203 ق.م التي مكث بها خمسة عشر سنة، وبالتالي تبخر اماله في تدمير روما وإضعافها.
- رغم انهزامه في اخر معركة زاما اخر معارك الحرب الرومانية–القرطاجية الثاية عام 202 ق.م، إلا أن حنبعل لم يعتبرها انهزام بل كانت له دافعا ليواصل خدمة بلده عن طريق جملة من الإصلاحات والتي أعادت بعث قوة قرطاجة الاقتصادية.

---

[86] Tite-Live, XXX, 47.
[87] Tite-Live, XXXIII, 47.
[88] Ernest Mercier, op. cit, p45.
[89] بسام العسلي، هانيبال القرطاجي 247-183 ق.م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980، ص 102.

- انجازات حنبعل بعد الحرب كانت محل حسد من طرف خصومه الذين تحالفوا مع الرومان ضده للتخلص منه، وهو ما تم فعلا عام 195 ق.م بنفيه مرغما أين قضى بقية حياته خارج قرطاجة ومات ودفن خارجها عام 183 ق.م، لتنتهي فصول القائد البطل الذي شكل تهديدا لروما لسنوات طويلة.

المصادر :

1- Diodore de Sicile, Bibliothèque Universelle, Trad. Par Haefer (F), Paris 1865.
2- Pline l'Ancien, Histoire Naturel, Trad. Par Litrene, Paris 1865.
3- Tite-Live, Histoire Romaine, Trad. Par Daniel de Celerq, Paris 2001.
Polybe, Histoire, trad. Par Danielle DE Celerq, éd. Garnier, Paris 2001.
4- Tite-Live, Histoire Romaine, Trad. Par Danielle de Celerq, éd. Garnier, Paris 2001.

المراجع العربية:

1- مونتيسكيو، (2001)، تأملات في تاريخ الرومان (أسباب النهوض والانحطاط)، ترجمة عبد الله العروي، منشورات المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب.

2- محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر.

3- جورجي زيدان، (1982)، أشهر الأعلام والرجال (حنبعل القائد القرطاجي)، مجلة الهلال، العدد 2، مؤسسة دار الهلال، القاهرة.

4- أحمد السليماني، (1999)، المكنون الحضاري الفينيقي-القرطاجي في نوميديا القديمة من خلال الدلالات واللقى الأثرية والأنصاب النذرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر.

5- اصطيفان اكصيل، (2007)، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج3، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات الأكاديمية المغربية، الرباط.

6- هشام الصفدي، (1967)، تاريخ الرومان، ج1، مطبعة دار الفكر الحديث، لبنان.

7- محمد بيومي مهران، (1990)، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر.

8- مادلين هورس ميادى، (1981)، تاريخ فرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، ط 1، بيروت.

9- إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط1.

10- ابراهيم نصحي، (1973)، تاريخ الرومان، ج1، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا.

11- محمد بن مبارك الميلي، (1980)، الجزائر في ضوء التاريخ، مطبعة البحث، قسنطينة.

12- شارل أندري جوليان، (1995)، تاريخ شمال إفريقيا منذ البدء إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر.

13- محمد الهادي حارش، (1992)، حملة حنبعل على إيطاليا، مجلة الدراسات التاريخية، العدد6، الجزائر.

14- فرانسوا ديكريه، (1996)، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة أحمد عزو عزالدين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ط1، دمشق.

15- أحمد سايح مرزوق، (2017)، حنبعل وانتصاراته الأربعة في إيطاليا 218-216 ق.م خلال الحرب البونية الثانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد12، السداسي الثاني.

16- محمد السيد عبد الغني، (2005)، التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتى عام 133 ق.م، ج1، منشورات المكتب الجامعي الحديث.

17- نجيب إبراهيم طراد، (1997)، تاريخ الرومان، مكتبة ومطبعة الغد، مصر.

18- فتيحة فرحاتي،(2007)، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م، الجزائر .

19- أحمد سايح مرزوق، (جانفي 2018)، شمال إفريقيا الفصل الأخير للحرب البونية الثانية 204-202 ق.م، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 13.

20- أحمد سايح مرزوق، (22-2018/09/24)، سياسة التحالفات العسكرية الرومانية-القرطاجية مع ملوك نوميديا، الملتقى الدولي مملكة المازيسيل، عين تيموشنت ، المحافظة السامية للأمازيغية.

21- محمد الصغير غانم، (1998)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر .

22- العربي عقون، (جوان 2010)، ماسينيسا 238-148 ق.م من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، العدد 22.

23- أحمد سايح مرزوق، (2021/2020)، تداعيات الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من نهاية القرن الثالث إلى القرن الأول ق.م، أطروحة دكتوراه، جامعة خميس مليانة،

24- محمد الهادي حارش، (2013) دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

25- بسام العسلي، (1980)، هانيبال القرطاجي 247-183 ق.م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

المراجع الأجنبية:

1- Lancel (S), (1995) , Hannibal, éd. Cérès, Paris.

-2Gsell (S), (1921), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Tome III, Paris.

3- Gelbert (Ch. P.), (1958), la vie quotidienne a Carthage au temp d' Hannibal IIIe siecle Av-J-C, Paris.

4- Bernaud (J), (1962), Annibal, Paris.

5- Le Bohec (Y),(2014), Histoire Militaire des Guerres Puniques 246-146 Av. J-C, éd. Tallendier, Paris.

6- Yanoski (J), (1844), Esquisse générale de l'Afrique et Afrique ancienne : Carthage-Numidie-Mauritanie, tome 2, éd. Firmin Didot Frère, Paris.
7- Decret (F), (1977), Carthage au l'Empire de la mer, éd. Seuil, Paris.
8- Le Gly (M), (2008), Histoire Romaine, éd. Presse universitaire de France, Paris.
9- Gelbert (CH.P), (1967), Hanibal, éd. Hachette, Paris.
10- Dureau de la Malle et Yanoski (M), Carthage, éd. F.D.F, Paris 1844, p 103.
11- Ernest Mercier, (1894), Histoire de l'Afrique septentrionale (berbere) depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française, ed. Ernest Leroux, Paris.